

المدائمة على الطاعة بعد رمضان

الحمد لله الولي الحميد، المبدىء المعيد، الفعال لما يريد، الذي تفرد بكل كمال وجلال وجمال، فهو الغني المجيد، وتوحد بالألوهية والربوبية، فلا ضد له في ذلك ولا نديد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال في عظمته وكبريائه، وأوصاف التمجيد، وذو الإكرام الذي ملأت مهابته ومحبه قلوب صفوة العبيد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هدى أمته إلى كل فعل جميل وقول سديد، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم في الهدى الرشيد.

أما بعد: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: **(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ).** رواه البخاري.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها

كأنه على جناح سفر، يهيئ جهازه للرحيل، قال تعالى: { يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ }.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (مَالِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا). رواه البيهقي.

ومن وصايا المسيح عليه السلام لأصحابه أنه قال لهم: "من ذا الذي يبني على موج البحر داراً؟! تلکم الدنيا؛ فلا تتخذوها قراراً".

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: "إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من المقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى".

وقال الحسن: "المؤمن في الدنيا كالغريب؛ لأنه لما خُلق آدم، أُسكن هو وزوجته الجنة، ثم أُهبطا منها، ووُعدا الرجوع إليها، وصالح ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول".

وكان عطاء السلمي يقول في دعائه: "اللهم ارحم في الدنيا غربتي،
وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غدًا بين يديك".

وما أحسن قولَ يحيى بن معاذ الرازي: "الدنيا خمر الشيطان، مَنْ سكر
منها لم يفتق إلا في عسكر الموتى، نادماً مع الخاسرين".

وقال الحسن: "إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك".
وقال: "ابنَ آدم، إنما أنت بين مطيتين يوضعانك، يوضعك النهار إلى
الليل، والليل إلى النهار، حتى يسلمانك إلى الآخرة".

وكتب بعض السلف إلى أخ: "يا أخي يخيل لك أنك مقيم! بل أنت
دائب السير، تساق مع ذلك سوقاً حثيثاً، الموت موجه إليك، والدنيا
تطوى من ورائك، وما مضى من عمرك، فليس بكارٍ عليك".

قال بعض الحكماء: "كيف يفرح بالدنيا مَنْ يومه يهدم شهره، وشهره
يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟! وكيف يفرح مَنْ يقوده عمره إلى
أجله، وتقوده حياته إلى موته؟!

وكتب الأوزاعي إلى أخ له: "أما بعد، فقد أحيط بك من كل جانب،
واعلم أنه يُسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه،
ومن يكون آخر عهدك به، والسلام".

قال المروزي: "قلت لأبي عبد الله يعني أحمد أي شيء الزهد في الدنيا؟
قال: قصر الأمل، من إذا أصبح قال: لا أمسي".

وكان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله: "أستودعكم الله،
فلعلها أن تكون منيتي التي لا أقوم منها". فكان هذا دأبه إذا أراد
النوم.

وقال بكر المزني: "إن استطاع أحدكم أن لا يبيت إلا وعهده عند رأسه
مكتوب، فليفعل؛ فإنه لا يدري لعله أن يبيت في أهل الدنيا، ويصبح
في أهل الآخرة".

وقال عون بن عبد الله: "ما أنزل الموت حقّ منزلته من عدّ غدًا من
أجله".

وقال بكر المزني: "إذا أردت أن تنفك صلاتك؛ فقل: لعلي لا أصلي
غيرها".

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا أحد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ليس
لفضله منتهى ولا مدد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خير مولود
وأشرف ولد، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه صلاة
وسلاما بغير عدد.

عن النبي صلى الله عليه وسلم: (نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ). رواه البخاري.

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ). رواه الحاكم.

وقال غنيم بن قيس: "كنا نتواصى في أول الإسلام: ابن آدم اعمل في فراغك قبل شغلك، وفي شبابك لكبرك، وفي صحتك لمرضك، وفي دنياك لآخرتك، وفي حياتك لموتك".

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، وَخَاصَّةً أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ). رواه مسلم.

وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا}.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ؛

آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ
أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا). متفق عليه.

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر
عليها، ويحال بينه وبينها، إما بمرض أو موت، أو بأن يدركه بعض هذه
الآيات، التي لا يقبل معها عمل.

قال أبو حازم: "إن بضاعة الآخرة كاسدة، ويوشك أن تنفق، فلا
يوصل منها إلى قليل ولا كثير. ومتى حيل بين الإنسان والعمل؛ لم
يبق له إلا الحسرة والأسف عليها، يتمنى الرجوع إلى حالة يتمكن
فيها من العمل، فلا تنفعه الأمانة".

قال تعالى: { وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ
فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي
لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ } وقال تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن
وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء

الدين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم
انصر جنودنا واحفظ حدودنا ورد جنودنا لأهلهم سالمين غانمين اللهم
انصر المجاهدين في أكناف بيت المقدس على اليهود الغاصبين المحتلين،
اللهم عليك بالصهاينة المعتدين الذين انتهكوا حرمة مقدسات المسلمين،
وحرمة المسجد الأقصى، واستفزوا مشاعر المؤمنين، اللهم عليك بهم فإنهم
لا يعجزونك، اللهم شتت شملهم، وفرق جمعهم، واجعلهم عبرة
للمعتبرين، اللهم حرر المسجد الأقصى من دنس اليهود المعتدين اللهم
ومن أرادنا والإسلام بخير فوفقه لكل خير ومن أرادنا والإسلام بسوء
فاقصم ظهره واجعل كيده في نحره ولا تمهله بين يومه وأمسه اللهم آمنا
في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك
واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! اللهم وفق إمامنا وولي أمرنا لما تحب
وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، وارزقه البطانة الصالحة، اللهم وأبرم
لأمة الإسلام أمر رشد يعز فيه من أطاعك، ويهدى فيه من عصاك،
ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، إنك على كل شيء قدير،
وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.